فاتح مدرس.. عالم من الإبداع المرهف والمتألق «١»

د. إسماعيل مروة

يعد فاتح مدرس من المبدعين العرب لقلة الذين برعوا في أكثر من ميدان، وفي كل ميدان إبداعي عمل فيه وقدّم ما لديه كان مميزاً، وصاحب شخصية وهوية، بل إن الأمر تجاوز إلى أن مدرس ترك بصمة خاصة، وكان صاحب مدرسة خاصة، ويؤسف أن هذا المبدع وأمثاله يغيب عن ميدان التدريس والمناهج في المراحل الأولى، وفي المراحل الجامعية..!

رحل فاتح مدرس، ولم نشهد أي نوع من التقويم لتجاربه وليس لتجربة، ففي ميدان التشكيل استطاع فاتح بما ملك من مواهب ورؤى وإبداع أن يكون متفرداً بين أبناء جيله من أتباع الرواد في جانب، ومن الرواد في جوانب عديدة، ومن يعرف الفنانين ويعاشرهم لابد أنه عرف عدداً من الفنانين الذين استفادوا من تجربة فاتح، وعدداً من الذين تأثروا وسرقوا تجربته، وقلدوه، بل إن لوحات فاتح هي اللوحات الأكثر تقليداً وتزويراً بين الفنانين التشكيليين، لأن من يعمد لذلك يعمد إليه للاستفادة المادية من سمعة فاتح ومدرسته وتجربته، ولن أقف عند اللوحة التشكيلية عند هذا المبدع الكبير، لأنني لست متخصصاً في ذلك، ولا أعرف خفايا اللوحة التشكيلية وأساليب تقويمها، وحسبي أن أذكر طرفة من هذا الجانب، فحين كنت أجالس الكبير فاتح مدرس في مرسمه بشكل أسبوعي، كان يطلعني على مشاركاته ولوحاته، ومرة أطلعني على مشاركة فاز فيها بالمرتبة الثانية عالمياً، وحين أشرت إلى أنه يحملها بالمقلوب، قال لي ضاحكاً، هي هكذا منشورة، وهكذا تعاملت معها لجنة التحكيم، وقال: لو وضعوها كما هي وبصورة سليمة بالتأكيد سآخذ المرتبة الأولى وربما خسرت!

ونهض بقامته العملاقة قدراً وفناً، وتناول كتاباً ضخماً، وقال لي: هذه رسالتي في الدكتوراه، وهي دراسة فنية في تجارب غير سورية، ولأظن – إن لم تخني الذاكرة– قال في حضارة اليمن الفنية!

ولن أنسى تعبيره: هل رأيت هذا الغباء؟

الفن واللوحة يحتاجان لدكتوراه؟!

الإبداع أعلى من الشهادات، ولكن أرادوا الشهادة من أجل التدريس والمكانة!

إنهم لا يفصلون بين الدارس الناقد المتفرغ للنقد والتدريس، وهذا يحتاج إلى دراسة وشهادات ومتابعة المدارس الفنية، أما المبدع يا صديقي فإنه لا يحتاج لشهادات ودراسات، لأنه مدار النقد والدراسات.

وبغض النظر عن رأيي فيما قاله فاتح مدرس، إلا أنه كان مقتنعاً بما يقول، وكان يدرك عمق الرؤية الثقافية والمعرفية، وأذكر أنه أعطاني صورة لوحة لأضعها غلافاً لأول كتبي التي نشرتها عن المسرح، واختار لي لوحة مناسبة، تباهيت بأن فاتح مدرس سمح لي بالغلاف مع أنه قال لي: أنا لا أحب موضوع دراستك، ولكن خذها، وبعد سنة من طبع الكتاب التقيت بالدكتور عبد الرحمن منيف عنده، وقد أصر له كتاباً لوحة غلافه لفاتح مدرس فشاهدته، قلت لفاتح: هذه نفس اللوحة التي أعطيتني لكتابي، فضحك وقال:

– عنجد.. نفسها؟!

أخذ الكتاب من الكاتب الكبير ووضعه على الرف إلى جانب كتابي، ثم التفت إلي وقال:

– ليش في حدا ع ينتبه..؟ ما حدا عم يشوف يقرأ.. وضحكنا معاً.. عملاقان وطالب مبتدئ في عالم القراءة والكتابة، وأنا على يقين اليوم بما قاله فاتح من جهل معرفي فوق الجهل القرائي! المهم إن فاتح مدرس عاش مبدعاً كما شاء وأراد، وأسس مشروعه الإبداعي الخاص، وإذا ما ابتعدت عن الجانب التشكيلي وهو الأساسي في إبداعه وسبب شهرته، فإنني أقف عند جوانب أخرى من فاتح مدرس من العيب ألا يعرفها أبناء سورية.

١– الجانب الموسيقي: يعرف المقربون من الوسط التشكيلي أن فاتح مدرس موسيقي، وموسيقي من الدرجة الممتازة، فقد تجاوز هواية العزف، وشغف السماع، ليصل إلى مرتبة أعلى، فهو يتحدث بتواضع عن تجربته مع (البيانو) ومهارته في العزف عليه، مجموعة شعرية تشبهها في كل تفصيل من التفاصيل، وأصدر كذلك كتاباً مع صديقه شريف نزندار بعنوان القمر الشرقي على شاطئ الغرب وفي تجربة فريدة في الأدب لوحة وكتابة وإخراجاً، وقد أعيد نشره بمناسبة دمشق عاصمة الثقافة العربية، وتفضل صديقي الدكتور عبد الناصر عساف بإعارتي نسخته لأطلع عليها وأستفيد منها.

٣– الجانب القصصي، ولعل هذا الجانب هو أهم جوانب إبداعات فاتح مدرس الكتابية، وهو الأكثر تميزاً لعدة أسباب:

أ– أصدر فاتح مجموعة بعنوان (عود النعنع) وهي وحيدة ويتيمة، وفي طبعتها الأخيرة كتب كلمة لها وشهادة الكاتب الكبير الدكتور عبد الرحمن منيف، وفي هذه الكلمة ينصف منيف القاص في ريادته في فن القصة، وهذه المجموعة تعد رائدة بين المجموعات القصصية السورية، ويشهد بذلك رائد القصة القصيرة السورية سعيد حورانية في مقدمته الدسمة للمجموعة، وقلما نعثر على شهادة لمبدع في مبدع بهذه العلمية.

ب– قصصه حملت بصمته وحده، فقد كانت لتجربته التشكيلية فردية في المنطلق والغاية، وهي تمثله خير تمثيل، وإذا كنا في الجانب الشعري قد ننسب شيئاً له وآخر لصديقه الشريك في العمل، فإن هذه المجموعة لا تحمل سوى بصمته وآرائه وأفكاره.

جـ– إذا كان الناس غير قادرين على اقتناء لوحات فاتح ومنذ زمن بعيد لغلاء اللوحة، وإذا كان المتابع لا علاقة له بالتشكيل واللوحة، أو إذا كان لا يحب فن فاتح ومدرسة وتجربته، فإن الأمر سيكون مختلفاً في الإبداع المكتوب، فهو يوزع على أكبر عدد من المتابعين والقراء، ويمكن أن يروق للكثيرين.

د– موضوعات فاتح مدرس المختلفة، فكما كان مختلفاً في تعاطيه التشكيلي ومدرسته التي انتمى إليها وطورها، كذلك كان في موضوعاته الشعرية والقصصية، ففي الوقت الذي كان فيه الشعراء يهرعون إلى الموضوعات القومية والوطنية الكبيرة، كانت عناية فاتح بداخل الإنسان، وموضوعات قصصه في عود النعنع لا يشاركه فيها مبدع آخر في الموضوع الذي يطرحه، ولا في البيئة التي كان يصورها وينقلها، ولا يشاركه قاص آخر حتى في الغايات، ففاتح لم يكتب ليكرس نفسه كاتباً قصصياً، وإنما كتب ليعبر عن ذاته وعن مجتمعه الذي لا نعرفه، وعن أمه التي حملها بصوتها ولهجتها وهيئتها حتى غادر الدنيا، وبقي وفياً لها ولبيئتها وأنها أم فاتح التي عاشت حياة قاسية لأسباب يطول شرحها، لكنها حضرت في ذاكرة فاتح ولوحته ونصه.

مجموعة عود النعنع ريادة وخصوصية لأنني عشت أياماً رائعة مع فاتح مدرس، وتناقشت معه طويلاً، وقد شاركني أحد هذه اللقاءات صديقي الرائع الدكتور عبد الناصر عساف، لأننا كنا معاً هو وأنا قد عزمنا على كتابة كتاب عن فاتح يدرس النص واللوحة، فإنني أجيز لنفسي أن أقف عند مجموعته القصصية وقفة مطولة، لعلي بذلك أعوض ما كنت قد عزمت عليه مع صديقي عبد الناصر من إنجاز بحث عن فاتح، وقد حالت ظروف سفري ودراسة صديقي ورحيل المبدع الكبير عن الإتمام، وها أنذا أعود إليه بعد ثلاثين عاماً لأعتذر وأغوص في مجموعته كما لم أكن لأفعل في ذلك الوقت المبكر، وسأحاول إن استطعت، أن استمتع بقراءة هذه المجموعة، ولا أقول تحليل، فيعدما كتب عبد الرحمن منيف وهو الصديق لفاتح ما من شيء يمكن أن أكتشفه إلا سبل المتعة لي ولقارئي – إن وجد – وسأتناول:

١– البيئة ٢– الشخصيات ٣– النهايات ٤– القصة الحرف واللون ٥– لغته

١– البيئة في عود النعنع: ضمت مجموعة عود النعنع ست قصص قصيرة هي: عود النعنع، خير والعوج، الغراف، الهرمان، رشو آغا، الطفلة الحدباء والجعران، وهذه القصص تمثل ذاكرة فاتح وحاضره، وهو القادم من حلب وما بعد حلب، فكانت هذه المجموعة خلاصة ذاكرته الأولى، وحياته الحالية، فهو المبدع الذي لم ينتزع نفسه من ماضيه وذاكرته، ولم يغط حياته برماد الحاضر، ولم ينفصم عن ماضيه لمجرد أنه أصبح في دائرة الضوء وفي الشهرة العالمية، والبيئة التي يتحدث عنها فاتح هي بيئة القاع والفقر والحرمان والظلم في الحياة، بيئة الطبقات والضياع، وقد وصف سعيد حورانية هذه القصص وهذا الواقع بقوله: «عالم فاتح، كعالم كافكا، مأساوي ومظلم ولكن كافكا يصل بنا إلى درجة اللاجدوى، بينما فاتح رغم كون الشر يطحن الخير في كل قصصه، ورغم أن أبطال أربع من خمس قصص ينتهون بالموت المجاني، نتيجة الظلم الاجتماعي وجبروت الطبيعة، وبطل الخامسة يموت في الحياة بعد أن استهلك تماماً كجسد وروح، فإن القارئ يحس بموجة عارمة من السخط والحقد، تتجاوز مرحلة التأثر إلى الفعل..».

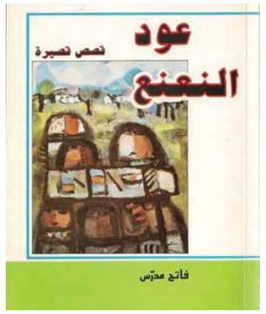

> كان فاتح موسيقياً كبيراً وكاتباً رائداً وشاعراً مجدداً

جورج وسوف يحتفل بخطوبة ابنه الثاني.. وطلال مارديني يستعين بناصيف زيتون

وائل العدس

طغى الحديث عن كورونا على معظم منشورات النجوم على مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا أهم ما نشر خلال هذا الأسبوع:

ألف مبارك

بعد أقل من شهر على فرحته الأولى، احتفل النجم السوري جورج وسوف، بخطوبة ابنه الثاني حاتم، في أجواء عائلية محدودة.

ونشر سلطان الطرب صوراً للعروسين من حفل الخطوبة البسيط عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وعلق عليها: «بلشت السنة بخبر بيفرّح القلب مع خطوبة ابني الثاني حاتم والحلوة آمال حلاوي».

وتابع: «بتمنالكم أياماً سعيدة وأن تكمّلوا العمر بنجاح وصحة وسعادة».

وجاء هذا الحفل بعد نحو شهر من احتفاله بالطريقة نفسها بخطوبة ابنه الأكبر جورج جونيور في منتصف كانون الأول من العام الماضي.

بالعافية التامة

استعان الممثل السوري طلال مارديني بمواطنه المغني ناصيف زيتون ليعبر عن حبه لوالدته التي تمر بأزمة صحية.

ونشر مقطع فيديو ظهر فيه زيتون وهو يلقي شعراً مؤثراً عن الأم، وعلق داعياً لوالدته بالشفاء العاجل: «أمي الله يشفيك ويعافيك وترجعي تزيني الدنيا كلها، ياريت تقومي وتسمعيني لحتى قلك قديش أنا بحبك وقلك قديش الدنيا سودة وأنتِ تعبانة ومريضة، أمي ثم أمي ثم أمي».

طابع الحزن

انتشر تسجيل نادر للفنان المصري الراحل عبد الحليم حافظ وهو يرد على سؤال طرح عليه كثيراً: «لماذا يغلب طابع الحزن على كل أغانيه»؟

وأجاب أن الأمر ربما عائد إلى النشأة التي نشأها يتيماً، ويفتقد لحنان الأم وعطف الأب في وقت كان يرى الأطفال حوله وهم يعيشون مع والديهم مما أثر فيه وفي شخصيته.

وأضاف: إنه ربما يعود الأمر إلى طبيعة صوته، أو طبيعة أغاني الحب التي يقدمها نفسها لأن الحب بالنسبة له مقترن بالحزن وهو ما يقدمه.

طريقة كوميدية

دعا الممثل المصري هاني رمزي الرجال إلى وضع الكمامة، للوقاية من فيروس كورونا، لكنه قام بالأمر على طريقته الكوميدية، فكتب: «هل تعلم أنه بمجرد دخولك إلى العناية الفائقة بسبب كوفيد ١٩ سيبقى هاتفك مع زوجتك لمدة ١٤ يوماً؟ ارتدي كمامة».

وأضاف: «البسوا الكمامة بدل ما تلبسوا حاجة تانية».

الغني والفقير

وصفت الفنانة اللبنانية مايا دياب الأحوال التي وصل إليها بلدها قائلة: «لبنان يعاني ويتلفظ آخر أنفاسه، احترنا إذا منوعى على أخبار أحبابنا اللي صاروا لابنيا ثانية بسبب الفيروس الخبيث، أو إذا منصلي لأحباب ما يفارقونا لأنهم بالمستشفيات وما قادرين نشوفهم، أو إذا منشكر ربنا على شفاء بعض الأشخاص لأنه بالصدفة الفيروس ما أودى بحياتهم».

وتابعت: «مش قادرة أوعى على خبر رحيل أحباء حرمنا الفيروس حتى انو نجتمع لوداعهم، قلب مجروح، معاناة مالها حلول ونداءات لتأمين أسرّة بالمستشفيات غير موجودة، كورونا ساوى الناس ببعضها الغني كما الفقير لا سرير لهما».

خايفة على أهلي

عبّرت الإعلامية والممثلة اللبنانية إيميه صياح عن خوفها على أهلها من فيروس كورونا وعلقت: «خايفة على أهلي من كورونا، خايفة عليهم من المسؤولين المهمين وقراراتهم الأهم، خايفة عليهم من شعب قسم كبير منه لا عنده منطق ولا بيحمل مسؤولية، شو ذنبهم أهلي واللي متلهم إذا في ناس بلا راس وإذا المسؤولين لا راس ولا قلب ولا ضمير؟!».

حاتم وسوف وخطيبته

طلال مارديني

وصية وموت

أثارت الممثلة اللبنانية ورد الخال جدلاً كبيراً بين المتابعين، بعد حديثها عن الموت، فكتبت في أحد منشوراتها: «عم فكر أكتب وصيتي، ما حدا بيعرف، مش معروف إذا نحنا عم نلعب بالموت، أو الموت عم يلعب فينا».

انفصام وغرور

اعتبرت الفنانة اللبنانية سيرين عبد النور أن بعض الناس الذين نصادفهم في الحياة يعيشون انفصاماً مع أنفسهم، من خلال المواقف التي تصادفها.

وكتبت: «كم حدة صادفت بحياتك عايشين انفصام مع أنفسهم؟ يوم بحبوك ويوم لا، يوم ليك ويوم عليك، وما زلت أنت المتفرج من دون أي ردة فعل رغم كل الكلام يللي بتوصل على مسامعك بتأكدها المواقف، والبعض منهم كمان فوق الضربة شايفين حالهم عليك، لهدول الناس الله يكون معكم، حياة المفصوم صعبة».

وزن زائد

علقت الفنانة المصرية مي كساب على التنمر الذي تتعرض له على مواقع التواصل الاجتماعي بسبب الوزن الزائد الذي اكتسبته بعد ولادة طفلها الأخير.

وأكدت أن الحمل له آثاره بالطبع، «وحاولت مع زوجي أن أجري عملية، قلي على جثتي».

وأضافت: «مش بهتم بتعليقات الناس على وزني وشكلي.. وعندي مراية في البيت وأرى نفسي جيداً، وخدودي قد كدا.. ولا أتأثر بآراء الناس.. فأنا متصالحة مع نفسي والتعليقات السلبية لا تؤثر عليّ كثيراً».

وختمت: «حينما أواجه هؤلاء المتنمرين لا أكلف نفسي مجهود الرد عليه.. كنت في الأول بعيط وبنهار، ولكن الآن أصبحت متبلدة وبعمل بلوكات وبمسح التعليقات».

برجك اليوم 1/14

نجلاء قباني

الحمل

الكثير من اللقاءات بينك وبين العائلة أو مع أصدقاء أنت فقدتهم فكذف الجهود في الضروري والمفرح وقد تتعرف إلى أصدقاء جدد أو تسترجع علاقات قديمة في سفر وفرصة مهمة للقاءات استثنائية.

عاطفياً: تبادر بلطف تجاه الآخرين وتستغل موهبتك بالكلام لتفصح عن مشاعرك بحرية وسعادة.

الثور

ضيقك سببه نفسي أكثر وربما هو سبب الشجارات اليوم فلا تجعل المحيط حولك يدفع أثماناً ليست من اختصاصه وحاول أن تتجنب الأخطاء غير المقصودة ولا تدخل جدلاً غير مجدٍ لإقناع من حولك بوجهة نظرك وخاصة حين تجد أن لا جدوى من كلامك. عاطفياً: تجاهد لكي تخفي قلقك أو حزنك أو ضيقك عن أقرب المقربين ولذلك قد تميل إلى العزلة أو تعاتب غيرك لأنه ابتعد عنك.

الجوزاء

أنت تبتعد عن الردود العصبية لتتخلص من أي صعوبات أو أي عراقيل يضعها في وجهك من حولك فأنت تملك إستراتيجية دفاعية ترتب على أساسها عملك ومساحة كبيرة للتحكم بحرية فيما يختص بعملك. عاطفياً: ستكون الأمور مبشرة بالأفضل فقد يتغير شعورك من القلق إلى الحب وتستعيد حرارة علاقاتك.

السرطان

قد تفكر بمصالحات أو تسويات أو فض لخلاف أقلقك منذ مدة لذلك قدّم ضروريات فالمحيط يمتدك المشورة والتعاطف والمساعدة وقد تتلقى شكراً على منح معنوي.

عاطفياً: أنت معفى من العصبية هذا اليوم وبوادر الحلول كثيرة وما عليك إلا أن تختار الأفضل لوضعك.

الأسد

لا تدع ضيقك من أمر شخصي يؤثر في أمورك العملية وحاول أن تخفف من حدة استبائك فوضعك متقلب وكلما تقدم اليوم ستميل أكثر إلى الشجار فاحمِ نفسك من تسرع. عاطفياً: الحكمة والهدوء يلزمان اليوم للابتعاد عن كل ما يعقّد حياتك وأنصحك بالاقتراب ممن تحب وتفهم مشاكله وتسمعه.

العذراء

العمل كثير وتعبك كبير ولكنك تكابر على التعب وتحاول إنجاز أعمالك المتراكمة فاعتمد على من ينهي عملك المتراكم أو نظم وقتك وانزع عن كاهلك هموماً كثيرة. عاطفياً: أنت تلعب دوراً فعالاً في محيطك لتفرض آراءك ضمن الأعراف المرعية في محيطك العملي أو الشخصي.

الميزان

تكسر قيودك النفسية التي قد تسببها كلمات أو اتهامات وتدافع عن نفسك فأنت مؤثر وتدافع عن إنجازاتك بإيجابات المنطقية التي تقنع الجميع بها فأمورك جيدة.

عاطفياً: تشرح وجهة نظرك فأنت ذكي وتعبر عن نفسك بصراحة وإيجابية وتطرح آراءك.

العقرب

اليوم أنت عصبي ما يجعلك صعب التفاهم مع محيطك الأسري فأجل النقاشات حين ترى أنه لا فائدة فالظرف يقتضي السير بخطوات بطيئة وهي أفضل من المراوحة في المكان.

عاطفياً: لا تنسحب من المعارك بسرعة بل حاول الإصلاح مراراً ولاتكن عصبياً بشكل مفاجئ.

القوس

أنت تميل للبحث عن روابط أعمق من مجرد العلاقة بل تفكر في تغيير الأساس بلقاءات شائقة وروابط متينة وكل ما تسعى إليه في هذه الأيام هو تغيير يدخل السرور والسعادة إلى قلبك.

عاطفياً: قد تتنابك الرغبة في اقتحام مجالات جديدة من دون خوف أو تقاعس لأنك مليىء بالحماس.

الجدي

أنت مسرف من الطراز الأول ولا تحسب حساباً لغد فاحسب دخلك ومصروفك ووازنها بعيداً عن صرفك الذي سيكون أكثر من دخلك فالرفاهية ستأتي ولكن حين ترتاح.

عاطفياً: تعيش رغبة في التغيير لن تكون الأجواء روتينية اليوم شيء جديد سيحصل.

الدلو

اغتنم الفرص المتاحة لك فهي تقدم لك على طبق من ذهب قد تغير مصيرك وترسم طريقة جديدة لحياتك فكن مستعجلاً في دراسة الجديد لتباشر به من دون تردد أو خوف بشائر بقرار عملي سيغير حياتك.

عاطفياً: قد تحس بالنشاط والحماس ما يضعك على الدرب الصحيح لبلوغ الأهداف التي تفكر بها.

الحوت

لا تفكر بتغيير غير مدروس ولا تسمح لمزاجك أن يتحكم بك لا تسمح لأحد بالتطفل عليك وحاول شرح وجهة نظرك بهدوء ومن دون تحديات أو حساسيات وصدقني ستشعر بالتحسن حين تقول كلمة آسف. عاطفياً: كلمة قد تصبح مثار نزاع وفي الواقع من كثرة العمل ومشاغله، قد تصب ضيقك على أمورك الشخصية.